المرأة ذات الحياء

ما أروع الإيمان !! ..وما أجمل الالتزام بمبادئ وأخلاق الإسلام!! ..ما أروع الإنسان حين يكتسى سلوكه بالحياء!! ..ويصبح الحياء رداء يستر عوراته ..وتراه رفيقًا له فى سكناته وحركاته ..إذا تكلم فى موضوع فهو حيى ..إذا طلب طلبًا فهو حيى ..إذا تخاصم أو تشاجر فهو حيى ..إذا تصالح فهو حيى ..فى فرحه ..فى ترحه ..فى إقباله أو إدباره ..فى عبوسه أو فى مرحه فهو حيى ..حيى يخشى الله أولاً وأخيرًا ..قال صلى الله عليه وسلم (**إن لكل دين خلقًا وخلق هذا الدين الحياء**)[1] وقال: (**إن الله تعالى يبغض الفاحش المتفحش**) رواه أحمد . وقال عليه الصلاة والسلام: (**إن شر الناس عند الله من خافه الناس اتقاء فحشه**)[2] .وقال أيضًا (**الحياء لا يأتى إلا بخير**) [3] وقال علية الصلاة والسلام: (**الحياء خير كله**)[4].

ما أشد تباين أخلاقيات نساء هذا الجيل الأول من المسلمات العفيفات الطاهرات والتزامهن الحياء قى كل شىء، وبين أخلاقيات بعض نساء الجيل الآخر من المسلمات اللاتى يرين أن من الفطنة والتفوق الاجتماعى أن تدع المرأة الحياء جانبًا فى بعض أو غالبية سلوكها، فتنتقى ألذع العبارات، وأجرح الكلمات، وأقبح الأمثال لأن زميلاتها يصنعن ذلك ..أو لأن أمها لا تلومها حين تسمعها تقول مثل هذا الكلام..

لقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها: أى النساء أفضل؟ ..فقالت: "التى لا تعرف عيب المقال ..ولا تهتدى لمكر الرجال ..فارغة القلب إلا من الزينة لبعلها والإبقاء فى الصيانة على أهلها".

فأفضل النساء ليست هى الحاصلة على أعلى إجازة جامعية، وليست تلك التى أبوها من أثرياء العصر أو تسكن فى قصر ..وليست تلك التى تتمتع بقدر

---

(١) موطأ مالك.

(٢)،(٣)،(٤) ..رواه مسلم

هائل من الجاذبية والجمال ..وليست تلك التى تتحدث عدة لغات وتعرف فن السلوكيات والسياسة ونظام المعاملات والاجتماعيات.

أفضل النساء فى نظر أم المؤمنين، تلك التى تتخرج فى مدرسة النبوة الكريمة وتتعلم قواعد التوحيد والإيمان، وتلتزم أخلاقيات الإسلام فى البيت ..فى الشارع ..فى المدرسة ..فى العمل ..فى كل مكان ..تلك التى لا تعرف عيب المقال أو البذاءة فى الجواب .. على أى سؤال ..

وهى كذلك لا تسعى ولا تنجذب كالفراشة نحو مكر الرجال مهما كانت مناصبهم ومراكزهم القيادية. قلبها لا يهفو إلا إلى زوجها فتتزين له وتتجمل كالعروس ليلة زفافها كل يوم، لأنه ليس هناك شىء ينفر منه الإنسان فى هذا العالم أكثر من المرأة القذرة، وتكون فى قمة زينتها حيث تخلو بزوجها، وليست كما تفعل بعض الجاهلات حيث تكون فى قمة تبرجها حين تخرج للعمل فى الصباح، أو تكون فى زيارة أو نزهة فى الحدائق وحتى فى الأسواق ..وتكون فى قمة قبحها وهى مجتمعة بزوجها على انفراد!!

وكذلك تهتم وتنشغل بالسعى دومًا للحفاظ على زوجها وأولادها فتصنع لهم ما يحبون وما ينفعهم فى دنياهم وأخراهم ..وتحثهم على الجد والاجتهاد، وهى تفخر بأنها معهد علمى عظيم يتخرج منه الأبناء المهندسون والأطباء والوزراء، وأنها كانت دافعًا قويًا لزوجها ليعتلى عرش المجد والتفوق من خلال بثها الثقة فى نفسه والإشادة بقدراته ..هى لا تفخر بنفسها أنها مهندسة أو طبيبة بل بأنها أم للعظماء والنابهين!!

ويقول صلى الله عليه وسلم أن من نساء الجنة **(امرأة ذات حياء إن غاب عنها (زوجها) حفظت نفسها وماله، وإن حضر أمسكت لسانها عنه)**[1]

إن الحياء ما وجد فى امرأة إلا زانها، وما نُزع منها إلا شانها ..الحياء كله خير ..الحياء قوة وليس ضعفًا إذا ما التزمته المرأة فى حياتها ..لأن الله يحب

---

[1] ذكره الإمام الذهبى فى كتاب الكبائر ص ١٧٦.

الحيى الحليم، الذى يصبر على الأذى، يتحمل الشدائد والبذاءات، ولا يتردى فى هاوية القبح من الألفاظ والشتائم ..لأن أبغض الناس عند الله من تركه الناس إتقاء فحشه..

المرأة الحيية تستميل قلب زوجها، وتجمع حوله بنيها وأهلها، ولا ينفر منها من حولها ولا سيما إذا كان حديثها لبقًا لطيفًا ..هى زوجة هاشة باشة بارة صالحة، تحبب زوجها إليها وإلى مجالستها والحديث معها ..هى لا تؤذيه بكلمة أو إشارة.

الزوجة الحيية إن غضب زوجها ووصف أهل زوجته بما تكره لا ترد بالمثل عليه أو تجرحه أو تصفه بما لا يحب، بل تنزه لسانها عن كل عيب، مقتدية فى ذلك برملة بنت الزبير، أخت عبد الله بن الزبير ابن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهم جميعًا ..فقد تزوجت رملة من خالد بن يزيد بن معاوية ..ووصف زوجها أخاها عبد الله بن الزبير بالبخل فلم تجبه بكلمة واحدة ..فقال لها زوجها: مالك لا تتكلمين؟ ..أرضيتى بما قلت أم تنزهًا عن جوابى؟ قالت: لا هذا ولا ذاك ولكن المرأة لم تخلق للدخول بين الرجال، إنما نحن رياحين للشم والضم، فما لنا والدخول بينكم؟ ..فأعجبه قولها فقام وقبل ما بين عينيها.

إن الزوجة العاقلة الحيية إذا تشاجر زوجها أو اختلف مع أهله تنأى بنفسها عن المشاركة أو المدافعة عن زوجها، فلا ترد ببذاءة وفحش على ما قيل لزوجها بدافع حبها له مثلاً ..لأنها مهما ادعت محبته ومودته فلن يرتفع رصيد حبها ومودتها له عن رصيد من أنجبوه وربوه وأدبوه ..والرجل يقبل من أبويه مالا يقبل من غيرهما مهما كانا ولا يسمح رجل كامل الرجولة أن يُسبَّ أبوه أو أمه، أو تجرح عائلته من بذاءة لسان زوجته مهما كان حجم الخلاف أو المشكلة الناشئة بينه وبينهم.

ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لم يعط عبد بعد الإيمان بـالله تعـالى شيئًا خيرًا من امرأة حسنة الخلق، ولم يعط بعد الكفر بالله تعالى شيئًا أشد مـن امرأة بذيئة اللسان سيئة الخلق.

والإسلام يحث علـى انتقـاء العبـارات الطيبـة والكلمـات العفيفـة الموحيـة، والابتعاد عن الألفاظ النابية، وقد امتـدح الله سـبحانه وتعـالى المؤمنـين بقـوله: **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِيـنَ هُـمْ فِـي صَلاَتِـهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِيـنَ هُـمْ عَـنِ اللَّغْـوِ مُعْرِضُونَ﴾. سورة المؤمنون: ١-٣**

وقـال سـبحانه وتـعـالى: **﴿وَإِذَا خَاطَبَـهُمُ الْجَـاهِلُونَ قَـالُوا سَـلاَمًا﴾ سـورة الفرقان: ٦٣ ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ سورة الفرقان: ٧٢**

..وقال: **﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَـنْ أَمَـرَ بِصَدَقَـةٍ أَوْ مَعْـرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَـن يَفْعَـلْ ذَلِـكَ ابْتِغَـاءَ مَرْضَـاتِ اللهِ فَسَـوْفَ نُؤْتِيـهِ أَجْـرًا عَظِيمًا﴾. سورة النساء (١١٤).**

وقال صلى الله عليه وسلم: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت) (رواه الشيخان) وقال عليه الصلاة والسلام (ما كان الفحش فى شىء قط إلا شانه ولا كان الحياء فى شىء قط إلا زانه)** رواه أحمد.

والحياء فى كل شىء خير ..فى اللفظ ..فـى الإشـارة ..فـى الحركـة ..فـى الخطوة ..فى الخلوة ..فى السر ..فى العلن ..لقد امتدح الحق سـبحانه وتعـالى مشية تلك الفتاة التى أتت إلى سيدنا موسى لتدعوه لملاقاة أبيـها بعـد أن سـقى لهما وأحسن إليها هى وأختها فقـال تعـالى: **﴿فَجَاءَتْـهُ إِحْدَاهُمَـا تَمْشِـي عَلَـى اسْتِحْيَاء﴾**. القصص / ٢٥

ويصف أبو سعيد الخدرى رضى الله عنـه رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم بقوله: (كان أشد حياء من العذراء فى خدرها، فـإذا رأى شـيئًا يكرهـه عرفنـاه فى وجهه).

والحياء عاصم واق صاحبته الزلل ..وهو كالثوب الساتر للجسد إن نزع كشفت العورات وفضحت السوءات ..وهو صوت ضميرها الحى الذى يوقظها إن غفلت، ويذكرها إن نسيت بأن عليها رقيبًا يعلم السر وأخفى، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت)..أى إذا تخليت عن حيائك فلن يردعك رادع، ولن يعوقك ويمنعك مانع داخلى عن ارتكاب الفواحش والآثام..

ويقول صلى الله عليه وسلم: (**الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**) رواه البخارى.

والمؤمن الذى يعيش بين الناس بإيمانه ..بثقته بربه، بالتزامه بتعاليم دينه الحنيف، ليس فى حاجة إلى أن يتعلم الحياء،فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم:على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "**دعه فإن الحياء من الإيمان**" رواه البخارى ومسلم ومالك.

والحياء لا يعنى الخجل أمام الناس فى العلن وارتكاب الفاحشة فى الخفاء بل الحياء يعنى الشعور بالخجل والخوف والرهبة من ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، سواء رآه الناس أم لم يروه، لأنه يخجل ويخاف من سيده وربه الأوحد، والإله القادر على ستره وفضحه ..القادر على أن يزيد محبته واحترامه بين قلوب الناس، أو يزيلها ويستبدلها بالبغض والاشمئزاز ..فمن طلب رضا الله فى سخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن طلب رضا الناس فى سخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس.

ولا ينتفى الحياء حالة إعلان الحق وإيضاحه وطلبه من الآخرين إذا جاروا عليه أو نسوه (مثل حق المرء فى النوم والراحة والخلوة والعمل والأجر)، لأن

الله عز وجل عاتب على بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن يطيلوا الجلوس عنده فى غير الضرورة، لأن هذا الأمر كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبى الكريم صلى الله عليه وسلم يستحى منهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾[1] ..فالحياء هنا غير مطلوب، لأن وقت رسول الله ثمين، ومهمته وحياته ليست ملكًا له يقضيها كيفما شاء أو شاء بعض أصحابه، بل هو يحياها وفقًا لتعاليم السماء وأوامرها، فلا ينبغى مضايقته أو تكليفه بما لا يطيق ..ومن هنا ندرك أنه يحق للمرء أن يوضح لأصحابه أو زواره موعد نومه، أو يعتذر عن الاستمرار فى جلسته إن كان هناك ما يشغله، أو يدعو لذلك ولا يخجل أو يستحى من هذا الأمر[2]

وإذا علم المرء الحياء فعليه أن يعلم حق الحياء ليسمو بنفسه وبغرائزه نحو الأفق السامى، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله (**استحيوا من الله حق الحياء ..فقالت الصحابة رضوان الله عليهم: يا نبى الله إنا لنستحى والحمد لله ..قال: ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء هو أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**)[3] فحق الحياء كما بينه صلى الله عليه وسلم للمسلم وللمسلمة هو:

أولاً: أن يحفظ كل منهما رأسه من كل فكر شيطانى، أو دعوة آثمة لقطع صلة رحم، أو ارتكاب إثم، أو فعل فاحشة، فمن خطر بباله أو نذر

---

(١) الأحزاب : ٥٣

(٢) يراجع كتاب الذوق سلوك الروح للأستاذ الداعية عباس السيسى فهو مليء بقصص عديدة عما يجب أن يتحلى به كل مسلم ومسلمة من آداب الذوق التى كاد أن يفتقدها أكثر الناس فى زمننا هذا.

(٣) رواه الحاكم وأحمد والترمذى

أو أقسم أن يرتكب إثمًا فعليه أن يكفر عن قسمه أو نذره ولا يفعله "فمن نذر أن يطع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصيه".

ثانيًا: أن يحفظ بطنه من أن يصل إليها طعام حرام، أُخذ من مال يتيم أو عن طريق رشوة، أو سرقة، أو كذب، أو تدليس، أو خيانة، لأن كل جسد نبت من حرام فالنار أولى به.

ثالثًا: أن تذكر المؤمنة والمؤمن دومًا هازم اللذات ومفرق الجماعات "الموت". الذى يأتى بلا سابق إنذار أو موعد ..تعددت الأسباب والموت واحد قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[1] .

رابعًا: أن يدرك المسلم والمسلمة أن من أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن من دوام الطاعات، والابتعاد عن المنكرات، وتجنب الشبهات، فحتمًا سيكون مصيره الفلاح والنجاة يوم القيامة والفوز بالجنة ونعيمها، ونكاح الحور العين، ورفقة الأنبياء والشهداء والصالحين، والتمتع بما لم تره عين من قبل، ولا خطر على قلب بشر ..فمن فعل تلك الخصال الأربعة فقد استحيا من الله حق الحياء..وحق على الله ألا يعذب عبده الحيى ولا أمته الحيية، لأن الله لا يجمع على عبده أو أمته خوفين أو أمنين فى آن واحد، فمن خاف الله فى الدنيا ولم يعصه أمنه الله يوم الفزع الأكبر، ومن أمن مكر الله فى الدنيا وعصاه أخافه الله يوم القيامة ..

وقال صلى الله عليه وسلم: **"الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان"**[2].

فطوبى لمن قبض على دينه وتمسك به ..وطوبى لكل امرأة مؤمنة حيية تحافظ على حيائها وإيمانها حتى تلقى الله تعالى وهو عنها راض ..وزوجها كذلك عنها راض.

---

(١) آل عمران / ١٨٥

(٢) رواه مسلم فى الإيمان.